الفصل الثامن

الغزوات والسرايا والأحداث الأخرى بين غزوتي أحد والمُرَيْسِيع

المبحث الأول: أ ـ غزوة حَمْرَاء الأَسَد:

فكر المشركون في الكرة مرة أخرى على المسلمين ليقضوا عليهم قضاء مبرما، وعندما علم الرسول ﷺ بنيتهم ندب الناس إلى المسير إلى لقائهم، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال» فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا سمعا وطاعة، وأذن لجابر بن عبدالله بالمسير معه لأنه لم يشهد أحداً، إذ كان أبوه قد خلفه على بناته، . وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد[1].

وعندما أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، أمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذله، فيلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فخذله وأخبره بخروج المسلمين إلى حمراء الأسد ونصحهم بالعود إلى مكة[2].

وقال الله تعالى في هذه الغزوة: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾[3].

روى ابن إسحاق[4] أنهم في طريق عودتهم من حمراء الأسد أسروا معاوية ابن المغيرة، جد عبدالملك بن مروان لأمه، وأبا عزة الجمحي الذي مَنَّ

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/١٤٨، ١٤٩، ١٥٠).

(٣) آل عمران: ١٧٢. وروى البخاري أن الزبير وأبابكر كانا من هؤلاء ـ انظر: الفتح (١٥/٢٥٣/ح ٤٠٧٧)، ورواه مسلم (٤/١٨٨١/ح ٢٤١٨). وفي الحديث أن الرسول ﷺ انتدب لأبي سفيان سبعين من أصحابه، قال الشامي: «والظاهر إنه لا تخالف بين هذا القول وقول أصحاب المغازي بأنهم خرجوا جميعا لأن السبعين سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون».

(٤) ابن هشام (٣/١٥٢) بإسناد معضل.

الرسول ﷺ عليه بغير فداء من بين أسرى بدر، فقال: «يارسول الله أقلني»، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين». وضرب الزبير عنقه بأمر الرسول ﷺ.

وروي أن الرسول ﷺ قال لأبي عزة: «إنَّ المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وأمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه»[٥].

لقد كانت هذه الغزوة في الثامن من شوال على ر أس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وقيل غير ذلك[٦]، إذ قال ابن إسحاق[٧] إنها في يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال.

ب ـ عبر في هذه الغزوة:

١ ـ إن خروج الرسول ﷺ إلى حمراء الأسد، يُعَدُّ مظهرا من مظاهر الكمال المحمدي من: شجاعة وتحمل وصبر وعدم الاستسلام لأي مظهر من مظاهر الهزيمة، وحسن سياسة، وبيانا لفضل أصحاب محمد ﷺ وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿الذين استجابو لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله، ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يَمْسَسْهُمْ سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾[٨][٩].

---

(٥) رواه ابن هشام بلاغا عن ابن المسيب (٣/ ١٥٢) ـ والحديث في الصحيحين، ولكنه عام ولم تخصص له مناسبة معينة. انظر: الفتح (٢٢/ ٣٣٣/ح ٦١٣٣) وهو من حديث ابن المسيب مما يعني ان حديث ابن هشام له أصل في الصحيح. وذكر ابن حجر في شرحه لحديث البخاري أن ابن إسحاق رواه في المغازي دون إسناد.

(٦) الواقدي (١/ ٣٣٤)، ابن سعد (٢/ ٤٨) وأسانيدهما ضعيفة.

(٧) ابن هشام (٣/ ١٤٧) ـ دون إسناد، ورواه الطبري في التاريخ والتفسير من طريق ابن إسحاق وهو موقوف على عكرمة وفيه حسين بن عبدالله وهو ضعيف الحديث، انظر: تفسير الطبري (٧/ ٩٩/ شاكر).

(٨) آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤.

(٩) وانظر عن أسباب نزول هذه الآيات: تفسير الطبري (٧/ ٣٩٩ ـ ٤١٥) وفيها طرق صحيحة.

المبحث الثاني: سرية أبي سَلَمَة:

عندما سمع الأعراب القاطنون حول المدينة، ما أصاب المسلمين في أحد، تجرّؤوا على المسلمين، واتضح ذلك من المحاولات التي قام بها بنو أسد في نجد وبنو هذيل في عرفات وغيرهم لغزو المدينة.

فقد وصلت الأخبار إلى النبي ﷺ بأن بني أَسَد بن خُزَيْمَة بقيادة طُلَيْحَة الأسدي وأخيه سَلَمَة يعدون العدة لغزو المدينة طمعا في خيراتها ومظاهرة لقريش في عداوتها للمسلمين. فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار في سرية، وأمر عليهم أبا سلمة بن عبدالأسد. فباغتوهم على ماء لهم بجبل يسمى قَطَن، ففروا في وجوههم، فاستاقوا أنعامهم إلى المدينة.

وكان ذلك في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة[١٠].

المبحث الثالث: سرية عبدالله بن أُنَيْس:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهُذَلي بنخلة أو بِعُرَنَة من عرفات، ليقتله، وذلك لأن خالداً كان يجمع الناس ليغزو بهم المدينة. وقبل أن يتحرك طلب من الرسول ﷺ أن ينعته له، فنعته له فخرج إليه. وعندما لقيه رأى فيه ما نعته به الرسول ﷺ، فاحتال عليه حتى قتله، وجاء إلى رسول الله ﷺ. وعندما رآه الرسول ﷺ قال: «أفلح الوجه...» ثم أدخله البيت وأعطاه عصا ليتخصر بها - يتكىء عليها - آية بينه وبين الرسول ﷺ يوم القيامة، وقال له: «إن أقل الناس المتخصرون يومئذ»، واحتفظ بها حتى دفنت معه[١١].

---

(١٠) الواقدي (١/ ٣٤٠)، ابن سعد (٢/ ٥٠) دون إسناد، ابن إسحاق - معلقا ومختصرا - ابن هشام (٤/ ٣٤٤)، ابن كثير: البداية (٤/ ٧٠)، وهكذا لم يرد في خبرها إسناد يحتج به.

(١١) ذكرناها مختصرة، فانظرها بتمامها عند ابن إسحاق - ابن هشام (٤/ ٣٥٤ - ٣٥٥) بإسناد منقطع، وقد وصلها البيهقي في الدلائل (٤/ ٤٢ - ٤٣) وفي السنن/ك. صلاة الخوف) وإسنادها حسن. رواها أحمد في المسند (٣/ ٤٩٦) من (٣/ ٢٥٦) الطريق نفسها، وإسناده حسن، وأبوداود في السنن (٢/ ٤١ - ٤٢/ ك. الصلاة/ح ٢٢٤٩) وليس فيه قصة دفن العصا معه، وهو من طريق ابن إسحاق ولم يصرح فيه بالسماع، وحسن ابن حجر إسناده كما في الفتح (١٥/ ٢٦٠/ ك. المغازي/ ب غزوة الرجيع). وانظر كذلك: الواقدي (٢/ ٥٣١)، وابن سعد (٢/ ٥٠).

وكانت هذه السرية في الخامس من محرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة[١٢].

المبحث الرابع: سرية الرَّجِيع:

روى البخاري[١٣] أن الرسول ﷺ بعث بسرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت[١٤] فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لِحْيَان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فَرْفَد ـ مرتفع من الأرض ـ وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا لا نقتل منكم رجلا، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم اخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل.

---

(١٢) ابن سعد (٢/ ٥٠) وعند الواقدي أن ابن أنيس خرج في يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة وخمسين شهرا، وقدم المدينة يوم السبت لسبع بقين من المحرم. والراجح ما قاله ابن سعد لأن الواقدي نفسه ذكر أن سبب مأساة الرجيع هو قتل المسلمين خالدا الهذلي، وعند الواقدي ان الرجيع كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة ـ الواقدي(٣٥٤).

(١٣) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥/ح ٤٠٨٦). ورواه أحمد في المسند: الرباني (٢١/ ٦٠ ـ ٦٢)، بمثل سياق البخاري وروى القصة أهل المغازي: ابن إسحاق بإسناد موقوف على عاصم ابن عمر ـ ابن هشام (٣/ ٢٤١ ـ ٢٦٠)، والواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٦٣) وابن سعد (٢/ ٥٥ ـ ٥٦) وإسناده صحيح، وفيه أنه قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة وهم من الهون ابن خزيمة، فقالوا: «يارسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الإسلام». فبعث رسول الله ﷺ معهم عشرة رهط.... إلخ القصة. قارن بين مضمونها ومضمون رواية البخاري والآخرين.

(١٤) وقد ورد في مغازي عروة مثلما ورد عند البخاري في سبب السرية. انظر: مغازي عروة، ص ١٧٥، ولم يذكر عروة غير ثلاثة، وقال إن بني لحيان من هذيل هم الذين اعترضوهم بالرجيع من نجد والمعروف أن الرجيع ماء لهذيل بمنطقة الحجاز ـ انظر ابن القيم في الزاد (٣/ ٢٤٤). وسببها عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٢٤٢) بإسناد مرسل: أن رهطا من عضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا إن فيهم إسلاما وطلبوا أن يبعث معهم نفرا من أصحابه ليفقههوهم في الدين، وقد وافق ابن سعد في هذا.. وعند ابن إسحاق أنهم ستة وأميرهم مرثد بن أبي مرثد، وذكرهم. وجزم الواقدي (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) أنهم كانوا سبعة فذكرهم، وذكر بصيغة التمريض انهم كانوا عشرة، وجزم بأن أميرهم مرثد وذكر بصيغة التمريض انه كان عاصم. وذكر أن السبب هو أن بني لحيان مشت إلى عضل والقارة وجعلت لهم جعلا ليخرجوا إلى محمد ﷺ ويطلبوا منه ان يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمنا في مكة. ويمكن التوفيق بين روايتي البخاري وابن إسحاق بأن يكون وافق ارسالهم عينا مجيء النفر من عضل والقارة في طلب من يعلمهم الإسلام ـ انظر: عرجون محمد رسول الله ﷺ (٤/ ٤١).

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر[١٥]. فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم. فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخُبَيْب وزيد حتى باعوهما بمكة. فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر[١٦]، فمكث عندهم أسيرا حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، قالت: «فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني، وفي يده الموسى. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، ومابمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقا رزقه الله»[١٧]. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: «دعوني أُصَلِّ ركعتين»، ثم انصرف إليهم فقال: «لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت». فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: «اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا، ثم قال:

ما إن أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع[١٨]

---

(١٥) هو عبدالله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق - ابن هشام (٣/ ٢٤٤) والواقدي (١/ ٣٥٧).

(١٦) يذكر بعض أصحاب المغازي أن خبيبا لم يشهد بدرا وإنما الذي شهدها وقتل الحارث بن عامر هو خبيب بن إساف، وللتوفيق بين روايات أهل السير ورواية البخاري، قال ابن حجر بأنهم قتلوا خبيبا بالحارث لكون خبيب بن إساف قتل الحارث على عادتهم الجاهلية بقتل بعض القبيلة عن بعض. وانظر مناقشة عرجون لهذه القضية: محمد رسول الله ﷺ، (٤/ ٥٣ - ٦٥).

(١٧) وخبر هذه الكرامة أيضا عند ابن إسحاق - دون إسناد - ابن هشام (٣/ ٢٤٦) حدثه به ماوية، مولاة حجير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت.

(١٨) وقال ابن حجر في شرحه لحديث الباب (١٥/ ٢٦٥): «وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر، ثم ساق الأبيات الآتية:

١ - لقد جَمَّعَ الأحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
٢ - وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جزع طويل ممنع
٣ - إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي * وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
٤ - فذا العرش صَبِّرني على ما يراد بي * فقد بضعوا لحمي وقد يأس مطمعي
٥ - وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
٦ - لعمري ما أحفل إذا مت مسلما * على أي حال كان في الله مضجعي

==

ثم قام إليه عقبة بن الحارث[19] فقتله. وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قد قتل عظيما[20] من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء[21].

وقال حسان بن ثابت شعرا رائعا في رثاء خبيب ورفقائه الكرام[22].

وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، أمية بن خلف. وعندما أخرجوه من الحرم إلى التنعيم ليقتلوه، اجتمع رهط من قريش فيهم أبوسفيان، فقال أبوسفيان حين قدم ليقتل: «أنشدك الله يازيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه، وأنَّك في أهلك؟» قال: «والله

==

وقال ابن حجر إن ابن إسحاق ساقها ثلاثة عشر بيتا، والذي وقفنا عليه لابن إسحاق في سيرة ابن هشام عشرة أبيات، والأبيات الزيادة على ما ذكرناه هنا عن عروة، وهي:

وكلهم مبدي العداوة جاهد غلئ لأني في وثاق بمضيع
[بعد البيت الأول لعروة].

وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناي من غير مجزع
[بعد البيت الخامس لعروة].

ومابي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جَحْمُ نار ملفع
[بعد البيت الذي ذكرناه].

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
[هو البيت السادس نفسه لعروة].

فلست بمبد للعدو تخشعا ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
[بعد البيت السادس عند عروة].

انظر مغازي عروة، ص ١٧٧. وقال ابن هشام (٣/ ٢٥٠) وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له ـ أي لخبيب.

(١٩) وفي رواية ثانية عند البخاري أن الذي قتله هو أبوسرُوعَة (الفتح ١٥/ ٢٦٦) وفي رواية ثالثة أنه أبوسروعة عقبة بن الحارث الفتح (١٥/ ١٧٧) وقال ابن حجر إن أبا سروعة هو اخو عقبة، وليس أبوسروعة وعقبة اسما واحدا. وفي رواية لابن إسحاق بإسناد حسن صحيح ان عقبة بن الحارث لم يقتل خبيبا لأنه كان صغيرا، وأن الذي قتله هو أبوميسرة العبدري، أخذ الحربة فجعلها في يده، ثم أخذ بيده وبالحربة ثم طعن بها خبيبا حتى قتله.

(٢٠) هو عقبة بن أبي معيط، الذي أسر ببدر وقتله عاصم صبرا بأمر الرسول ﷺ كما مر بنا.

(٢١) عند ابن إسحاق أن هذيل أرادت أخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر... ابن هشام (٣/ ٢٤٤) بدون إسناد.

(٢٢) انظره عند ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٢٥٠ ـ ٢٦٠) وعروة: المغازي، ص ١٧٧، قال الأعظمي: «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف».

ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي»، فقال أبوسفيان: «ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا». ثم قتله نسطاس مولى صفوان[٢٣].

لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: «ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم أقاموا في أهلهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم آية: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾[٢٤] وما بعدها، وأنزل في أصحاب السرية: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد﴾[٢٥][٢٦].

بعث الرسول ﷺ عمرو بن أمية الضمري وحده إلى قريش، قال. «فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها، فحللت خبيبا، فوقع إلى الأرض، فانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أر خبيبا، ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة»[٢٧].

كانت هذه السرية في صفر على ر أس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة[٢٨].

المبحث الخامس: سرية بئر مَعُونَة:

وفي الشهر ذاته الذي أرسل فيه الرسول ﷺ سرية الرجيع، أرسل الرسول ﷺ سرية بئر معونة[٢٩].

فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أرسل إلى نجد سبعين من خيار

---

(٢٣) ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٢٤٥)، ابن سعد (٢/ ٥٦) من طريق ابن إسحاق، مرسلا.

(٢٤) البقرة: ٢٠٤.

(٢٥) البقرة: ٢٠٧.

(٢٦) قاله ابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٤٨) لأن فيه راو لم يسمه، ووصله ابن كثير في البداية (٤/ ٧٦) من هذا الطريق وسمى الراوي المبهم وهو محمد بن أبي محمد. والحديث ضعيف لعلتين: لعنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس، ولأن محمد بن أبي محمد مجهول، كما في التقريب ص ٥٠٥.

(٢٧) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٩) و(٦/ ٢٨٧) وابن أبي شيبة من طريق جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه، وفي سنده إبراهيم بن إسماعيل، وهو متفق على ضعفه - انظر التقريب، ص ٨٨.

(٢٨) الواقدي (١/ ٣٥٤)، ابن سعد (٢/ ٥٥) وأسانيدهما ضعيفة.

(٢٩) قاله الواقدي (١/ ٣٤٦) وابن سعد (٢/ ٥١)، وابن اسحاق - ابن هشام (٣/ ٢٦٠) وأسانيدهم ضعيفة.

الصحابة (رضي الله عنهم) عرفوا بالقراء، كانوات يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل[٣٠]، وينفقون ثمن حطبهم على أهل الصفة[٣١].

وذكر مسلم[٣٢] أن سبب إرسالهم هو أن أناسا جاءوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يبعث معهم رجالا يعلمونهم القرآن والسنة.

وذكر البخاري[٣٣] سببا آخر لا يختلف عن هذا في جوهره، وهو أن بطونا من بني سليم، هم: رِعْل وذَكْوان وعُصَيَّة بني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بأولئك السبعين، وقد وافق البخاري ابن سعد[٣٤] في هذا السبب.

وذكر ابن إسحاق[٣٥] أن أبا براء عامر بن مالك، المدعو «ملاعب الأسنة» قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: «يارسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم».

ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يكون كلا الأمرين قد وقعا، أي إرسال الرسول ﷺ هؤلاء السبعين بناء على طلب أبي براء وبني سليم.

عندما نزلوا ببئر معونة بين أرض عامر وحرة بني سليم، بعثوا حرام بن مِلْحَان ـ أخا سليم ـ بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلا فطعن حراما بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: «الله أكبر، فزت ورب الكعبة»[٣٦].

ثم استنفر ابن الطفيل بني عامر إلى قتال المسلمين، فلم يجيبوه لأجل

---

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٥/٢٦٨/ح ٤٠٩٠).
(٣١) مسلم (٣/١٥١١/ح ٦٧٧).
(٣٢) المصدر والمكان نفسيهما.
(٣٣) الفتح (١٥/٢٦٧/ح ٤٠٩٠).
(٣٤) الطبقات (٢/٥٣) بإسناد صحيح.
(٣٥) ابن هشام (٣/٢٦٠) بإسناد مرسل، ابن سعد (٢/٥١) بدون إسناد، الواقدي (١/٣٤٦) وأسانيدهم ضعيفة.
(٣٦) هنا تتفق رواية أهل السير مع رواية الصحيحين، ما عدا ذكر إمارة المنذر ولقبه، فهو من رواية أهل السير.

جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان، وخاضوا مع المسلمين معركة ضارية، قتل فيها المسلمون جميعا، إلا كعب بن زيد ابن النجار، الذي ترك وبه رمق، فعاش حتى استشهد في غزوة الخندق، وعمرو بن أمية، الذي كان قد تأخر عنهم هو والمنذر عقبة بن عامر، وعندما وجدا أصحابهما قد صرعوا قاتلا المشركين، فقتلوا المنذر وأسروا عمرا، ثم أعتقه عامر عن رقبة كانت على أمه.

وعاد عمرو بن أمية بالخبر الأليم إلى الرسول ﷺ بالمدينة، وفي الطريق فتك برجلين من بني كلاب، هو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ، لم يعلم به، ولذا التزم الرسول ﷺ بأداء ديتهما، فأخذ في تحصيل الدية من المسلمين وأهل الصحيفة من اليهود.

وعندما ذهب إلى اليهود للإعانة في دية الكلابيين حاولوا قتله، مما كان من أسباب غزوة بني النضير ـ كما سنرى.

وقد تألم الرسول ﷺ لهاتين الفاجعتين ـ معونة والرجيع ـ فأخذ يدعو في صلاة الصبح ثلاثين صباحا على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة والرجيع: رعل وذكوان ولحيان وعصية[٣٧].

وظهرت لعامر بن فهيرة كرامة في هذه الموقعة. فقد روى البخاري[٣٨] انه لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو الضمري، قال له ابن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: «لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنّي لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع».

---

(٣٧) هذه الخلاصة من صحيح البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٦٦ ـ ٢٧٤/ح ٤٠٨٨ ـ ٤٠٩٦) وهي تسعة أحاديث، ومسلم (٣/ ١٥١١/ح ٦٧٧)، وأحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٦٣ ـ ٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٢٦): «رجاله رجال الصحيح، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٢٦ ـ ١٢٧): «رجاله رجال الصحيح، وابن سعد (٢/ ٥١ ـ ٥٤)، وابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦٧).

(٣٨) الفتح (١٥/ ٢٧٢/ح ٤٠٩٣).

المبحث السادس: حكم وأحكام وعبر ودروس من سريتي الرجيع ومعونة:[٣٩]

١ ـ تدل هاتان الحادثتان على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة إلى الإسلام وتبصير الناس بحقيقته وأحكامه. فليس أمر الدعوة موكولا إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو خلفائهم والعلماء دون غيرهم.
وعلى الرغم من استشعار الرسول ﷺ الخوف على القراء نتيجة لما وقع لأهل الرجيع، إلا انه لم يتوقف عن إرسال بعث القراء، ومن بعده أرسل بعوثا أخرى حتى تاريخ وفاته، لأنه كان يرى أن القيام بأعباء تبليغ الدعوة أهم من كل شيء، ليكن ما يريد الله في سبيل القيام بأمره وتبليغ دعوته.

٢ ـ إن معجزة التربية الإسلامية تتجلى في موقف خبيب بن عدي عندما لم يمس طفل آل الحارث بسوء، على الرغم من مواتاة فرصة الانتقام لنفسه من المشركين الذين حبسوه ليقتلوه، وتتجلى نذالة الكافرين في الغدر بأصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة، ولم يشفع لخبيب عندهم موقفه النبيل من طفل آل الحارث. والغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك.

٣ ـ إن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمان، ولا يمكن نفسه ولو قتل، ترفعا عن أن يجري عليه حكم الكافر، كما فعل عاصم (رضي الله عنه)، فإن أراد الترخص فله أن يستأمن، مترقبا الفرصة للخلاص، كما فعل زيد وخبيب (رضي الله عنهما).

٤ ـ إن ما ظهر من أمر خارق للعادة لخبيب عندما كان أسيرا، دل على أن كل ما أمكن أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي.

٥ ـ مشروعية الصلاة عند القتل وأن خبيبا هو الذي سنها، وأقر ذلك الرسول ﷺ.

٦ ـ تتجلى قوة إيمان ابن الدثنة في حبه لرسول الله ﷺ ورضائه بالموت ولا

(٣٩) ملخصا عن: فقه السيرة للبوطي، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠١، هذا الحبيب «محمد ﷺ يامحب: ص ص ٢٨٢، ٢٨٥، فقه السيرة للغزالي ص٢٩٨، ٣٠١.

يصاب رسول الله ﷺ بشوكة تؤذيه، وهو آمن في أهله، وكذا كان حب أصحاب رسول الله ﷺ له، وذلك واجبهم وواجب كل مؤمن ومؤمنة، وان ذلك من دلائل إيمان العبد.

٧ ـ إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحب الخلق إلى الله ورسوله، ممن يضعهم الله تعالى في محك الامتحان.

٨ ـ مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.

المبحث السابع: غزوة بني النَّضِيْر:

أولا: سبب الغزوة: تشير المصادر إلى ثلاثة أسباب لهذه الغزوة:

الاول: أرادت بني النضير قتل الرسول ﷺ بعد بدر الكبرى عندما حرضتهم قريش على ذلك.

الثاني: محاولتهم قتل الرسول ﷺ عندما جاءهم ليستعين بهم في دية الكلابيين اللذين قتلهما الضمري.

الثالث: حضهم قريش على قتال الرسول ﷺ ودلوهم على العورة.

تقول المصادر عن السبب الأول إن قريشا أرسلت إلى اليهود وهددتهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ، فاستجاب بنوالنضير لذلك ووضعوا خطة يقتلون بها الرسول ﷺ غدرا. فقد طلبوا منه أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلا من أصحابه ليلتقي بثلاثين من أحبارهم في موضع وسط ليحدثهم، فإن صدقوه آمنت يهود. فلما جاءوا قريبا من المكان اقترحوا على النبي ﷺ أن يجتمع ومعه ثلاثة من أصحابه وثلاثة من أحبارهم، وقد حمل هؤلاء اليهود الثلاثة خناجرهم، ولكن امرأة منهم أفشت سرهم لأخ لها مسلم، فأخبر النبي ﷺ، فرجع عنهم، ثم استعد وحاصرهم بجنوده حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح(٤٠).

---

(٤٠) رواها عبدالرازق في مصنفه (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) بإسناد صحيح رجاله ثقات، وجهالة الصحابة فيه لا تضر، وأبوداود في السنن (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦/ك. الخراج/ح ٣٠٠٤)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩) من طريق أبي داود وعبدالرزاق، وابن مردويه بإسناد صحيح من حديث عبدالرزاق، وعبدالرحمن بن حميد في المغازي/ب. حديث بني النضير) والحاكم (٢/ ٤٨٣).

أما السبب الثاني فتقول عنه المصادر إن النبي ﷺ عندما ذهب إليهم في دية الكلابيين، لما كان بينه وبينهم من الحلف، جلس إلى جدار لهم في انتظارهم ليأتوا بما وعدوا به من المساهمة في الدية، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فاتفقوا على أن يعلو عمرو بن جحاش ذلك الجدار، فيلقي صخرة على الرسول ﷺ فيقتله. فأخبر الله رسوله بما أرادوا، فخرج راجعا إلى المدينة. وعندما تأخر عن أصحابه الذين كانوا معه، سألوا عنه، فعلموا رجوعه إلى المدينة، فأتوه فأخبرهم الخبر، ثم أمر بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، ومحاصرتهم، فنزلوا على الصلح بعد حصار دام ست ليال، على أن لهم ما حملت الإبل[41].

أما السبب الثالث فقد انفرد به موسى بن عقبة[42]، حيث قال: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة». وقال إن ذلك كان عندما نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ[43].

ولعل الدكتور العمري[44] لم يطلع على الرواية التي عند البيهقي وما فيها من الزيادة عن رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر، وهذه الزيادة هي: «حين نزلوا بأحد...» ولذا قال العمري إن رواية موسى بن عقبة لم تحدد وقتا للأعمال التي ارتكبها اليهود ضد المسلمين ولعله يقصد أعمالاً معينة.

ومن المعروف أنهم حرضوا المشركين على قتال المسلمين فكانت أحد، وأعانوا أباسفيان في إغارته على أطراف المدينة مما أدى إلى مطاردة المسلمين له فيما عرف بـ«غزوة السويق»، وأنّ كعبا بن الأشرف كان يقرض الشعر في هجاء المسلمين وتحريض قريش عليهم. كل هذا يدل على حالهم مع

---

(٤١) ابن إسحاق - بإسناد مرسل - ابن هشام (٣/ ٢٦٧ - ٢٦٨)، ويتقوى هذا الإسناد بالمتابعة، وقد توبع برواية موسى بن عقبة عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٢) وعند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠ - ١٨١). وفي رواية موسى بن عقبة عند ابن حجر زيادة عما عند ابن إسحاق، وهي: «كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ، ودلوهم على العورة» وعنوان باب حديث بني النضير عند البخاري يدل على قبوله بهذا السبب، ونص العنوان: «حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الكلابيين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ».

(٤٢) عند ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٠٣).

(٤٣) من رواية لموسى بن عقبة عند البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٠) بإسناد ضعيف.

(٤٤) المجتمع المدني في عهد النبوة - تنظيماته...، ص١٤٧.

المسلمين إلى أن كانت محاولتهم قتله، وتسبب ذلك في قرار لوضع حد لممارساتهم الإجرامية، فكان القرار طردهم من المدينة(٤٥).

ثانيا: الإنـــذار:

عندما صدر منهم ما صدر طلب منهم الرسول ﷺ الخروج من المدينة خلال عشرة أيام، فمن رأوه بعد ذلك ضربت عنقه.

وعندما استعدوا للخروج حرضهم عبدالله بن أُبيّ بن سلول على عدم الخضوع ومناهم بالوقوف إلى جانبهم، فأعلنوا العصيان، فحاصرهم المسلمون(٤٦)، وقد أشارت آيات في سورة الحشر إلى هذا، مثل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. . .﴾(٤٧)

ثالثا: الجلاء وشروطه:

ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ أجلى بني النضير عندما حاربوا(٤٨) وفصلت الكتب الأخرى، وخاصة كتب المغازي والسير، كيفية هذا الجلاء ونوعية الحرب التي حاربوها.

وصح أن الرسول ﷺ حاصرهم بالكتائب، وقال لهم: «إنكم لا تأمنون

---

(٤٥) انظر المرجع والمكان نفسيهما.

(٤٦) رواه الواقدي (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩) وفيه ذكر المدة، وابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٢٦٩) ولم يذكر المدة، وابن سعد (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) ـ دون إسناد مثل مضمون رواية الواقدي، والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ ـ ١٨٣) بإسنادين فيهما أربعة مجاهيل وبهذا تكون كل الأسانيد ضعيفة.

(٤٧) الحشر: ١١ ـ ١٢. وممن روى أن سبب إنزالها كان في بني النضير والمنافقين: الطبري في التفسير (٢٨/ ٤٦) بإسناد إلى ابن عباس ولكنه ضعيف، وبإسناد مرسل موقوف على مجاهد ورجاله ثقات، وابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).
فالآثار كلها ضعيفة، لكن البعض يتقوى بالمتابعة، أما نزول سورة الحشر في بني النضير فقد ثبت بطرق صحيحة، وتناولت في بعض آياتها موقف المنافقين نحو بني النضير، وثبت أن ابن عباس سماها سورة بني النضير كما روى البخاري. انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٤/ ك. المغازي/ ح ٤٠٢٩)

(٤٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٠٢/ ح ٤٠٢٨).

عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك، هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة ـ السلاح ـ فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها»[٤٩].

وقد ثبت بنص القرآن[٥٠] أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار، وثبت في الحديث الشريف[٥١] أن النبي ﷺ حرق وقطع بعض نخل بني النضير خلال مدة الحصار.

وتذكر بعض الروايات أنهم أجلوا إلى الشام[٥٢] والبعض الآخر يذكر أنهم توجهوا إلى خيبر[٥٣]. وفي رواية ابن إسحاق[٥٤] ما يجمع بين هذه الروايات، حيث قال: «فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق وكِنَانَة بن الربيع بن ابي الحقيق وحُيَيّ بن أَخْطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلها». ويؤيده في ذلك الأحداث اللاحقة الثابتة بالمرويات القوية، مثل أخبار قتالهم في غزوة خيبر، وقتل كنانة وأسر صفية وخبر سلام بن أبي الحقيق[٥٥].

وقد أسلم منهم اثنان، هما: يامين بن عمر بن كعب وأبو سعد بن وهب،

---

(٤٩) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ ـ ٣٦١)، وأبوداود في السنن (٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٧/ك. الخراج/ب. في خبر النضير/ح ٣٠٠٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٨١ ـ ١٨٢). وانظر الفتح (١٥/ ٢٠٢)، ورواه من أهل السير: ابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، ابن سعد (٢/ ٥٧ ـ ٥٨) ـ معلقا، الواقدي (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٥) بإسناد منقطع.

(٥٠) الحشر: ٥. ﴿وما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله...﴾ روى البخاري أنها نزلت عندما حرق وقطع الرسول ﷺ نخل بني النضير، وهي البويرة ـ انظر: البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٤)، و (١٥/ ٢٠٥/ح ٤٠٣١ ـ ٤٠٣٢).

(٥١) أحاديث البخاري في باب بني النضير ـ المصدر نفسه، وسنن الترمذي (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨/ تحفة الأحوذي)، وسنن ابن ماجه (٣/ ٩٤٨ ـ ٤٩).

(٥٢) روى ذلك عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٨ ـ ٣٦١) بإسناد صحيح.

(٥٣) ابن سعد (٣/ ٥٨) بإسناد ضعيف.

(٥٤) ابن هشام (٣/ ٢٦٩) ـ معلقا.

(٥٥) انظر العمري: المجتمع المدني ـ تنظيماته، ص ١٤٩.

ولذا أحرزا أموالهما[٥٦].

أما الأموال والنخيل فكانت لرسول الله ﷺ[٥٧]، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله[٥٨].

وقسم الرسول ﷺ أرضهم بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار أحدا سوى سهل بن حَنِيف وأبي دُجَانَة، وذلك لفقرهما.[٥٩].

ولم يتوقف زعماء بني النضير عن مكائدهم بعد كل هذا، فقد حرضوا الأحزاب، فكانت غزوة الخندق[٦٠].

رابعا: تاريخ غزوة بني النضير:

روى عبدالرزاق[٦١] من حديث الزهري، والحاكم[٦٢] من حديث عروة، انها كانت بعد غزوة بدر الكبرى[٦٣]. وذكر البخاري[٦٤] في رواية معلقة من الترجمة عن عروة بأنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر، قبل وقعة أحد. وذكر ابن حجر[٦٥] ان عبدالرزاق قد وصلها في مصنفه عن معمر عن الزهري بأتم مما عند البخاري، وقد رواها البيهقي[٦٦] من هذا الطريق. وروى

---

(٥٦) ابن إسحاق - بإسناد منقطع، من حديث شيخه عبدالله بن أبي بكر - ابن هشام (٣/ ٢٧٠) والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٥٧) وذلك بنص الآية ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب...﴾ ونزول سورة الحشر في بني النضير كما روى البخاري: الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٢، ٤٨٨٣)، وانظر: صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨ - ١٣٩٠/ح ١٧٦٨ - ١٧٦٩).

(٥٨) روى ذلك البخاري/ الفتح (١٨/ ٢٦٦/ح ٤٨٨٥).

(٥٩) عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٣٥٨ - ٣٦١) وأبوداود (٣/ ٤٠٤ - ٤٠٤/ح ٣٠٠٤) ولم يصرح باسميهما، وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٧٠).

(٦٠) سيأتي خبر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر، لأنه حرض على غزوة الأحزاب. وذكر ابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٢٩٨) - أسماء اليهود الذين حرضوا الأحزاب من بني النضير: سلام وحيي وكنانة. وممن ذكر تحريضهم: عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٣٦٨ - ٣٧٣) وابن سعد (٣/ ٦٥ - ٦٦) وابن حجر في الفتح (١٥/ ٢٧٥) من رواية موسى بن عقبة - معلقا. والخلاصة أن الروايات في هذا الموضوع ضعيفة ولكنها تصلح بمجموعها للاحتجاج ويتقوّى بعضها ببعض لأنها من روايات أئمة المغازي والسير ولها شواهد.

(٦١) المصنف (٥/ ٣٥٧) بإسناد صحيح.

(٦٢) المستدرك (٢/ ٤٨٣) وصححها ووافقه الذهبي.

(٦٣) كانت بدر الكبرى في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ كما مر بنا.

(٦٤) الفتح (١٥/ ٢٠١/ك. المغازي/ ب. حديث بني النضير) - دون رقم.

(٦٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦٦) انظر: المصنف (٥/ ٣٥٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٧٨) بإسناد إلى عائشة (رضي الله عنها).

البيهقي[٦٧]، رواية عن الزهري عن عقيل بمثل رواية البخاري وعبدالرزاق.

هكذا عند أهل الحديث أنها قبل أحد وبعد بدر، ولكن أصحاب المغازي والسير يذكرون أنها بعد أحد. فابن إسحاق[٦٨] يذكر أنها في سنة أربع من الهجرة، ويذكر الواقدي[٦٩] وابن سعد[٧٠] أنها كانت في شهر ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهرا من الهجرة ووافقهم ابن هشام[٧١] في أنها كانت في ربيع الأول.

ومادامت سرية بئر معونة كانت بعد أحد باتفاق، وإذا جمعنا الأسباب يظهر لنا أنها بعد أحد، وقد أشار إلى ذلك البخاري في الخبر المعلق عن ابن إسحاق، وذكر البخاري أن من جملة من كان في سرية بئر معونة عَمْراً الضمري، وذكر معونة بعد أحد، ولعمرو الضمري ذكر في سبب غزوة بني النضير، فبذلك تكون غزوة بني النضير بعد غزوة أحد وسرية بئر معونة. وهذا مما يؤيد ابن إسحاق ومن تابعه من أصحاب السير والمغازي، وهو ما مال إليه ابن حجر[٧٢] والسندي[٧٣] والعمري[٧٤]، وما نميل إليه معهم.

خامسا: حكم وعبر من غزوة بني النضير:

١ - إن في إخبار الله نبيه بما يبيته اليهود للغدر به دليلاً على تكرار الغدر من اليهود، والوفاء من الله تعالى بوعده القاطع لرسوله ﷺ: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، وفي هذه المعجزة وغيرها ما يجب أن يحمل الناس على الإيمان بنبوة محمد ﷺ.

٢ - إن قطع وإحراق الرسول ﷺ لبعض نخيل بني النضير، دل على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد

---

(٦٧) الدلائل (٣/١٧٦).
(٦٨) ابن هشام (٣/٢٦٧) معلقا.
(٦٩) المغازي (١/٣٦٣).
(٧٠) الطبقات (٢/٥٧).
(٧١) السيرة (٣/٢٦٨).
(٧٢) الفتح (١٥/٢٠٣/ح ٤٠٢٨).
(٧٣) مرويات يهود المدينة، ص ١٤٢.
(٧٤) المجتمع المدني - تنظيماته، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

من مصلحة في النكاية بالأعداء. وأن ذلك من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية، وهو مذهب نافع ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء.

وروى عن الليث وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جواز قطع شجر الكفار وإحراقه(٧٥).

٣ ـ اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم من دون قتال، وهو «الفيء» يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسته ﷺ في تقسيم فيء بني النضير، ونزول القرآن الكريم مصوبا ذلك(٧٦).

٤ ـ في موقف الرسول ﷺ من بني النضير تقرير لمبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب.

المبحث الثامن: غزوة بدر الموعد:

خرج رسول الله ﷺ في شعبان(٧٧) سنة أربع من الهجرة لموعده الذي التزم به لأبي سفيان يوم أحد. وكان معه ألف وخمسمائة من الصحابة وعشرة أفراس، ووصل إلى بدر، وانتظر بها المشركين ثمانية أيام.

أما المشركون فقد خرج بهم أبوسفيان حتى وصل إلى مر الظهران، ونزل بمياه مجنة على بعد أربعين كيلا من مكة، ثم عاد بهم بحجة أن العام عام جدب، وكان لهذا الموقف منه أثر كبير في استعادة هيبة المسلمين بعد انتكاسة أحد(٧٨).

---

(٧٥) انظر النووي: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٥٠)، البوطي: فقه السيرة النبوية، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥، والأم (٧/ ٣٢٤)، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للبوطي، ص ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٧٦) انظر البوطي: فقه السيرة، ص ٢٠٥، وذكر اختلاف الفقهاء في الأراضي التي غنمت بواسطة الحرب.

(٧٧) هذا ماقاله ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٢٩٢)، أما الواقدي (١/ ٣٨٤) وابن سعد (٢/ ٥٩) وكلاهما رواه معلقا. فقد ذكرا أنها في هلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا من الهجرة ـ وابن إسحاق مقدم على الواقدي وعلى ابن سعد إذا لم يسند وإذا كان في إسناده الواقدي.

(٧٨) انظر المصادر المذكورة.

المبحث التاسع: غزوة ذات الرِّقاع[٧٩]:

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة، وقد جنح البخاري[٨٠] إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق[٨١] إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع، وعند الواقدي[٨٢] وابن سعد[٨٣] أنها كانت في المحرم سنة خمس، وجزم أبومعشر[٨٤] أنها كانت بعد بني قريظة والخندق. والراجح عند ابن حجر[٨٥] ماذهب إليه البخاري وأبو معشر لأن أبا موسى الأشعري شهدها وقد قدم من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، وشهدها أبوهريرة وقد أسلم حين فتح خيبر، وصلى فيها رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ولم تكن شرعت في الخندق، بل شرعت في عسفان أيام الحديبية، والحديبية سنة ست.

أما الدكتور البوطي[٨٦]، فقد جزم أنها قبل الخندق، وحجته في ذلك ما ثبت في الصحيح من أن جابرا (رضي الله عنه) استأذن الرسول ﷺ إلى بيته في غزوة الخندق وأخبر امرأته بما رأى من جوع رسول الله ﷺ وفيه قصة الطعام الذي دعا إليه النبي ﷺ ومجيء كل الجيش ومعجزة الرسول ﷺ في تكثير طعام جابر وفيه قول الرسول ﷺ لزوجة جابر: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة» وما ثبت في الصحيحين أيضا من أن الرسول الله ﷺ

---

(٧٩) اختلف في تسميتها، والراجح ما ذكره أبوموسى الأشعري في الصحيح من أنها سميت بذلك لأنهم لفوا في أرجلهم الخرق بعد أن تنقبت خفافهم، إذ كان لكل ستة بعير يتعاقبون على ركوبه، انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠٩/ح ٤١٢٨) وفي الحديث أنه كره الحديث في أمر كهذا لأنه من أمور العبادة التي لا يريد أن يفشيها وقد احتسبها عند الله. وفي هذا دليل على مفهوم الجهاد عند سلفنا الصالح. وقال النووي تعليقا على هذا السلوك من الأشعري: «إنه يستحب للمسلم أن يخفي أعماله الصالحة وما قد يكابده من المشاق في طاعة الله تعالى، وألا يتعمد إظهار شيء من ذلك إلا لمصلحة، مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبيه على الاقتداء به ونحو ذلك. وعلى مثل هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار ببعض أعمالهم - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ١٩٧ - ١٩٨).

(٨٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٣٠٥/ ك. المغازي/ ب. غزوة ذات الرقاع) معلقا.

(٨١) ابن هشام (٣/ ٢٨٥) معلقا.

(٨٢) المغازي (١/ ٣٩٥).

(٨٣) الطبقات (٢/ ٦١).

(٨٤) ذكره ابن حجر في الفتح (١٥/ ٣٠٤).

(٨٥) انظر استدلالات ابن حجر على أنها بعد خيبر في الفتح (١٥/ ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١).

(٨٦) فقه السيرة، ص ٢١٠.

سأل جابرا في غزوة ذات الرقاع إن كان قد تزوج بعد فأجاب بنعم، مما يدل على أن الرسول ﷺ لم يكن علم شيئا عن زواجه، وأخذ الدكتور في رد أدلة ابن حجر في كونها بعد خيبر، فقال أما ما استدل به الحافظ ابن حجر من أنه ﷺ لم يصل صلاة الخوف في الأحزاب وصلاها قضاء فيجاب عنه بأنه ربما كان سبب تأخير الرسول ﷺ لها إذ ذاك استمرار الرمي بين المشركين والمسلمين بحيث لم يدع مجالا للانصراف إلى الصلاة، وربما كان العدو في جهة القبلة... أو ربما أخرها لبيان مشروعية قضاء الفائتة كيفما كانت. كما يجاب عن استدلاله بحديث أبي موسى الأشعري بما ذكره كثير من علماء السير والمغازي من أن أبا موسى إنما قصد بها غزوة أخرى سميت هي أيضا بذات الرقاع ـ بدليل أنه قال عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه... إلخ، وغزوة ذات الرقاع التي نتحدث عنها كان العدد أكثر من ذلك.

ومال الدكتور الحكمي[٨٧] والدكتور العمري[٨٨] إلى ما ذهب إليه البخاري وابن حجر، والذي نميل إليه هو ماذهب إليه الدكتور البوطي لأن حجته الخاصة بزواج جابر قبل الخندق لا تدفع وهي في الصحيحين، إضافة إلى أن البخاري قد ذكر رأيه معلقا، وحجته فقط مجيء أبي موسى بعد خيبر وهي حجة دفعها البوطي بترجيح تعدد الغزوة.

لم يقع في هذه الغزوة قتال بين المسلمين وغطفان، ولكنهم أخافوا بعضهم بعضا، فصلى المسلمون صلاة الخوف، وصفتها أن طائفة صفت معه، وطائفة وجاه العدو. فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم[٨٩]. وفي رواية أنه صلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين،

---

(٨٧) مرويات الحديبية، ص ص ٧٣ ـ ٨٦.
(٨٨) المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ١٣٠.
(٨٩) البخاري/ الفتح (١٥/٣٠٨/ح ٤١٢٧).

فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان[٩٠]. قال الدكتور البوطي[٩١]: «ووجه التوفيق بين الحديثين أنه عليه الصلاة والسلام صلى بأصحابه صلاة الخوف أكثر من مرة، فصلاها مرة على النحو الأول وصلاها مرة أخرى على النحو الثاني.

وكانت هذه الصلاة بمنطقة نخل التي تبعد عن المدينة بيومين[٩٢].

لقد وقعت في هذه الغزوة أحداث ذات دلالات ومغزى كبير، منها:

١ ـ قصة الأعرابي:

روى البخاري[٩٣] ومسلم[٩٤] عن جابر ـ وغيرهما[٩٥] ـ عندما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون الشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة علق بها سيفه، قال جابر: «فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت له: الله، فهاهو ذا جالس... لم يعاقبه رسول الله ﷺ. واسم الأعرابي: غَوْرَث ابن الحارث».

ويذكر قتادة[٩٦] وابن إسحاق[٩٧] أن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ هَمّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، فكف أيديهم

---

(٩٠) مسلم (٢/٥٧٦/ح ٣١١).
(٩١) فقه السيرة، ص ٢٠٧/حاشية، وانظر ابن حجر: الفتح (١٥/٣٠١).
(٩٢) البخاري/ الفتح (١٥/٣٠٥) ـ ترجمة الباب.
(٩٣) الفتح (١٥/٣١٥ ـ ٣١٦/ح ٤١٣٥، ٤١٣٦) وفيه تصريح باسم الأعرابي.
(٩٤) صحيحه (١/٥٧٦/ ك. صلاة المسافرين وقصرها/ ب. صلاة الخوف/ح ٨٤٣).
(٩٥) انظر أحمد: الفتح الرباني (٧/٢٠ ـ ٢٢)، ابن اسحاق، بإسناد متصل ولكنه فيه عمرو بن عبيد القدري الذي قال ابن كثير لا ينبغي الرواية عنه لبدعته ـ ابن كثير البداية والنهاية (٤/٩٥)، وابن هشام (٣/٢٨٧) والإصابة (٣/١٨٥).
(٩٦) من رواية عبدالرزاق بسنده إلى جابر من طريق معمر كما ذكر ابن كثير في التفسير (٣/٥٨ ـ ٥٩)، والطبري في التفسير (١٠/١٠٦)، وإسنادها صحيح. وفي الباب روايات أخرى في تفسير الآية وأسباب نزولها، ويرى الطبري أن الأقرب إلى الصحة أنها نزلت في يهود بني النضير عندما هموا بقتل الرسول ﷺ ـ التفسير (١٠/١٠٧ ـ ١٠٨) وانظر زاد المسير (٢/٣٠٨).
(٩٧) ابن هشام (٣/٢٨٧ ـ ٢٨٨) بإسناد متصل ولكن فيه عمرو بن عبيد القدري.

عنكم﴾[98] قد نزلت في هذا الأعرابي.

وفي رواية مسدد[99] عن جابر أن الأعرابي غورث عاهد الرسول ﷺ أن لا يقاتله ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: «جئتكم من عند خير الناس».

دروس وعبر من هذه القصة:

وفي هذه القصة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال. وفيها جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم إذا لم يكن هناك ما يخافون منه[100].

٢ ـ قصة الحراسة:

وفي مرجعهم من غزوة ذات الرقاع، سبوا امرأة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دما في أصحاب محمد ﷺ، فجاء ليلا وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم، وهما عَبَّاد بن بِشْر وعمار بن ياسر، فضرب عبادا بسهم وهو قائم يصلي، فنزعه، ولم يقطع صلاته، حتى رشقه بثلاثة سهام، فلم ينصرف منها حتى سلم، فأيقظ صاحبه، فقال: «سبحان الله، هلا نبهتني، فقال كنت في سورة اقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها»[101].

دروس وعبر في هذا المقطع من السيرة:

في قصة هذين الصحابيين الجليلين كشف لطبيعة الجهاد الإسلامي، وكيف

---

(٩٨) المائدة: ١١.

(٩٩) نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٥/٣١٧).

(١٠٠) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/٣١٧).

(١٠١) رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض قائلا: «ويذكر...» من حديث جابر: (صحيح البخاري: (١/٥٢/ ك. الوضوء/ ب. ٣٤ ـ من لم ير الوضوء إلا من المخرجين) ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/)٢٩ ـ ٢٩٢)، ورواه غيره من طريقه.

كان يمارسه ويفهمه أصحاب رسول الله ﷺ. فعباد (رضي الله عنه) أراد أن يشغل شطراً من زمن حراسته الليلية بركعات خاشعة، يقف فيها أمام الله تعالى ولم يقطع صلاته لألم يشعر به، وإنما قطعها استشعارا بمسؤولية الحراسة التي كلف بها. وهذا درس بليغ في مفهوم العبادة والجهاد عند سلفنا الصالح، ولا وجه للمقارنة بينه وبين ما عليه نحن الآن!![102]

٣ ـ قصة جمل جابر:

روى البخاري[103] ومسلم[104] وغيرهما من أهل الحديث، وابن إسحاق[105]وغيره من أهل السير عن جابر أنه عندما أبطأ في السير، وهم في طريق العودة من غزوة ذات الرقاع، سأله الرسول ﷺ عن السبب فقال إن جمله قد أعياه، فنزل رسول الله ﷺ يحجنه بمحجنه، ثم دعاه فركب، فأصبح الجمل يسابق جمل رسول الله ﷺ وجابر يكفه عن ذلك. ثم سأله عن حالته الاجتماعية، فذكر أنه تزوج ثيبا، فقال له الرسول ﷺ: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟». فعلل سبب زواجه من الثيب بأن له أخوات فأحب أن يتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن. وطلب منه الرسول ﷺ إذا قدم المدينة أن يعمل عملا كيسا، ثم قال له: أتبيع جملك؟ فوافق جابر، فاشتراه منه بأوقية، وعندما أتى بالجمل من الغد إلى الرسول ﷺ أمر الرسول بلالا أن يعطيه الأوقية. فوزن له بلال فأرجح له في الميزان، وعندما ولى دعاه الرسول ﷺ ورد عليه جمله.

وفي رواية ابن اسحاق أن الرسول ﷺ قال لجابر عندما علل سبب زواجه من ثيب: «أصبت إن شاء الله» وفيها أنه قال له «. . . أما أنا لو قد جئنا

---

(١٠٢) انظر البوطي: فقه السيرة ص ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(١٠٣) الفتح (٩/١٧٢/ح ٢٠٩٧)، وما ذكرناه هو مضمون روايته.

(١٠٤) الصحيح (٢/١٠٨٩/ح ١٤٦٦).

(١٠٥) ابن هشام (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠) ـ بإسناد حسن. قال ابن كثير في البداية (٤/ ٩٩) هذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع، وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام. . . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وبغيرها، أي تبوك. . . ومستبعد تعدد ذلك ـ يعني تكرار الحادثة.

صِرَارا[١٠٦] أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها[١٠٧]». فقال جابر: «والله يارسول الله مالنا من نمارق، فقال النبي ﷺ: إنها ستكون... وفيها قول جابر عن الأوقية التي أعطيت له: فوالله مازال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيتنا...».

درس وعبرة في هذه القصة:

في هذه القصة صورة كاملة ودقيقة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث اللطف في المعاشرة ورقة الحديث، وفكاهة في المحاورة ومحبة شديدة لأصحابه والوقوف على أحوالهم والمواساة في مشكلاتهم الاجتماعية ماديا ومعنويا. فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جمله الذي لايملك غيره لبؤس حاله، حيث إن والده مات شهيدا في أحد وترك له مجموعة من البنات والأولاد ليرعاهم، وهو مقل في الرزق، فأراد الرسول ﷺ أن ينتهز هذه الفرصة ليواسيه ويقدم له ما يستطيع من مال مبارك[١٠٨].

المبحث العاشر: غزوة دُوْمَة الجَنْدَل:

يتفق جمهور أهل المغازي والسير[١٠٩] أنها كانت في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة، وبالتحديد لخمس ليال بقين من ربيع الأول[١١٠] على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة[١١١].

لم يذكر ابن إسحاق سببها، بل الذي ذكره الواقدي[١١٢] وابن سعد[١١٣]،

---

(١٠٦) موضع على مسافة ثلاثة أميال من المدينة المنورة على طريق العراق. انظر معجم البلدان (٣/٣٩٨).
(١٠٧) مفردها نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.
(١٠٨) انظر البوطي: فقه السيره ص ص ٢١٢ - ٢١٣.
(١٠٩) ابن إسحاق وابن هشام - معلقا - سيرة ابن هشام (٣/٢٩٧ - ٢٩٨)، الواقدي (١/٤٠٢)، ابن سعد (٢/٦٢) - معلقا.
(١١٠) لقد حدد الواقدي هذه الليالي (١/٤٠٢).
(١١١) حدد هذا الواقدي وتابعه تلميذه وكاتبه ابن سعد (٢/٦٢).
(١١٢) المغازي (١/٤٠٢ - ٤٠٤).
(١١٣) الطبقات (٢/٦٢ - ٦٣).

وخلاصته: بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعا كثيرا وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة[١١٤]، وكان بها سوق عظيم وتجار، وضوى إليهم قوم من العرب كثير، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة. فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين ومعهم دليل من بني عذرة يسمى مذكور، وقبل وصول دومة الجندل بيوم أو ليلة هجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب. وعندما وصل الخبر دومة الجندل، تفرقوا. وعندما وصلهم لم يجد أحدا في المكان، فأقام بها أياما، وبث السرايا التي كانت ترجع بالإبل فقط، إلا سرية محمد بن مسلمة، فقد أخذ رجلا منهم وعرض عليه الإسلام، فأسلم. ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة[١١٥].

(١١٤) جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، وكانوا يومئذ قوما من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت ـ النهاية (٣/٢٢).

(١١٥) زاد الواقدي سببا آخر لهذه الغزوة وهو أن الرسول ﷺ أراد أن يدنو من الشام ليفزع قيصر ـ المغازي (١/٤٠٣).